

الصناعات التقليدية الجزائرية والثقافة السياحية

أ.د. بوحسون العربي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

الملخص:

بالرغم من أن الجزائر تمتلك قدرات ومؤهلات سياحية عديدة طبيعية وثقافية، إلا أن توظيفها في تنمية السياحة كبديل استراتيجي لمواجهة التحديات المعاصرة في مجال التنمية بقي صعب التحقيق. لماذا؟ هذا ما نريد توضيحه من خلال تحليل هذه الإشكالية، التي تعالج غياب الثقافة السياحية في الجزائر.

تمهيد:

إلى وقت غير بعيد كان ينظر إلى الصناعات التقليدية والحرفية، كفضاء ثقافي وفني، ذو أهمية فولكلورية، غير أن هذا الفضاء مع تطور الفكر السياحي في العالم ظهر بوظيفة أساسية ذات بعد اقتصادي وتنموي، في كثير من البلدان، التي اعتمدت على عدة مجالات متكاملة في التنمية الشاملة. بينما في الجزائر رغم الجهود المبذولة في سبيل إبراز قطاع الصناعات التقليدية والحرف في تفعيل التنمية وربطه بالسياحة، إلا أن كل المحاولات اعتبرت فاشلة. لأن الجزائر باعتمادها على البديل الأوحده كمشروع للتنمية وهو قطاع المحروقات، اعتبرت قطاع الصناعات التقليدية كجزئية ضمن التراث الثقافي المادي له تأثير قليل في دواليب التنمية فلم يحظ بأي اهتمام، لاسيما في ظل غياب الثقافة السياحية لدى الفرد الجزائري. وقد تأكد هذا التصور عندما تم توطيد الصناعات المصنعة (الثقيلة) كمشروع دولة للتنمية بعد الاستقلال. هكذا ثم إفراغ القطاع الحرفي من محتواه الاقتصادي والاستثماري التنموي، وخاصة عندما وجدوا له مكان في المتاحف ودور المعارض ليظهر فقط في المناسبات كتعبير عن التراث الوطني والهوية.

-الإشكالية:

يعتبر القطاع السياحي السوق الأساسي للصناعات التقليدية، بالرغم من أن الجزائر تعد بلدا سياحيا بامتياز إذا نظرنا إلى طبيعتها المتنوعة ومواقعها الحضارية والثقافية، وأيضا منتجاتها في الصناعات الحرفية، لكن السياحة لم تنتعش فيها وتبين من ضعف إقبال السياح عليها، هل هذا راجع إلى غياب ثقافة سياحية لدى المؤسسات والمواطنين، أم يرجع إلى طبيعة تكوين شخصية الفرد الجزائري أثناء الاستعمار ونظرتة الخاصة تجاه السائح الأجنبي ؟ وهل تقديم الخدمات في المجال السياحي للآخرين يتعارض مع شخصية الجزائري وذهنيته الثقافية التي اكتسبها ما بعد الاستقلال في فترة الاشتراكية، التي اعتمد فيها بصفة مطلقة على البترول وإهمال المجالات الأخرى ومن بينها قطاع الصناعات التقليدية والحرف، الذي ظل لفترة طويلة يعاني التهميش؟.

حقا أن للصناعات التقليدية جوانب متعددة، ثقافية وفنية وتاريخية واقتصادية وسياحية، ولعل هذا البعد الأخير (السياحة) يعد من المقومات الأساسية التي تروج للجوانب والأبعاد الأخرى. هذا واضح في الدول التي اعتمدت على السياحة كمصدر للدخل في إطار التنمية المستدامة. فالترويج في هذا المقام هو ثقافة ووظيفة لا تفترق عن العنصر السياحي. بحيث أن بقاء مختلف منتجات الحرف التقليدية مجهولة لدى المواطنين وبالأخص لدى السياح الأجانب لن يطور السياحة، بل أن كل المبادرات والفنون في هذا المجال مآلها الاختفاء عندما لا تجد الفضاء الملائم للاستهلاك والتجديد تماشيا مع تحديات العصر. فقد رأى ابن شنهو عبد اللطيف (وزير المالية الأسبق) أن السياحة لن تنتعش في الجزائر من دون رد الاعتبار لقطاع الصناعات والحرف التقليدية.¹

-عوامل تخلف سوق الصناعات والحرف التقليدية:

في البدء حاولت فرنسا أثناء الاستعمار القضاء على تراثنا وهويتنا وأصالتنا بتفكيك البنى الاقتصادية والاجتماعية في تلك الفترة، حيث كانت العائلة الحرفية مصدر رزق لكثير

من أفرادها التي تعرضت للتفكيك، خاصة إذا علمنا أن هذا القطاع كان ملازما للقطاع الزراعي الذي تعرض لضربات قوية من السياسة الضريبية الفرنسية آنذاك.² وبعد الاستقلال لم تظهر أية مبادرة لتطوير القطاع، وقد تبين من جملة الاستثمارات التي حظي بها قطاع الصناعات التقليدية، حيث خلال المخطط الثلاثي (1967-1969) استنفاد قطاع السياحة من حصة 282 مليون دينار من 11078 مليون أي ما يعادل 2.53% مما جعله يبقى في ذيل الترتيب إلى جانب قطاع التكوين، المرافق الأول للقطاع، واعتبر قطاعا ثانويا مقارنة بالصناعة والزراعة. وفي المخطط الرباعي الأول (1970-1973) ظهر تهميشه بصورة واضحة، فلم يخصص له سوى 700 مليون دينار أي 2.5% من إجمالي الاستثمارات.³ لقد أدى هذا التهميش إلى توقف حرف كثيرة ومنها إنتاج مصنع الزرابي بتلمسان الذي كان يمون السوق الألمانية قبل 1973 ب 90% من المنتج وهكذا خسرت مدينة تلمسان هذا السوق، وتحول لصالح المغرب عندما أنشئ مركب الصناعات الحرفية بالمدينة. وقد أثبتت التجربة أن السياسات التنموية المبنية على توازنات بنوية وشاملة التي لا تضحى بأي قطاع علما منها بأن ربح معركة التنمية يتم على جبهات عديدة هي التي تعود بالفائدة.⁴ وأضاف الوضع السياسي والأمني الذي مرت به الجزائر في العشرية السوداء أثناء التسعينات مأساة أخرى لهذا القطاع عندما حول السياح وجهتهم إلى البلدين المجاورين المغرب وتونس. وهذا أمر طبيعي لدى السياح لأن السياحة أصلا لا تتفصل عن الاستقرار والأمن. كما زادت سياسة الانفتاح الاقتصادي والعولمة في الفترة نفسها الأمر تعقيدا بسبب المنافسة الأجنبية الشرسة. وبسبب تدني الأوضاع فضل العديد من الحرفيين القدامى الخروج إلى التقاعد، وبالتالي أصبحت عملية إنتاج الموروث الثقافي ونقله إلى الأجيال الجديدة تمثل حلقة صعبة التحقيق، فحاول قطاع التكوين المهني أخذ على عاتقه هذه المهمة (إحياء التراث الحرفي) لكن دون جدوى، وبأكثر صعوبة. حيث بينت التقاليد الراسخة لدى التنظيمات الحرفية وراثية الصنعة في العائلة الواحدة على امتداد جيلين، وكانت العائلات شديدة الحرص على بقاء أسرار الصنعة وتقنياتها

محصورة في النطاق العائلي، اعتمادا على المثل الشعبي المتداول إلى يومنا هذا" شكون عدوك؟ صاحب حرفتك".⁵

ومع تقسيم الصناعات التقليدية إلى فروع أحدثها المرسوم التنفيذي رقم 97-140 المؤرخ سنة 1997 توجه أغلب المسجلين في الحرف التقليدية إلى الفرعين اللذين يعتبران بعيدين عن الخدمات السياحية، وهما فرع الصناعات التقليدية للإنتاج الذي شمل (43000 مسجل)، وفرع الصناعات التقليدية للخدمات الذي شمل (9400 مسجل)، بينما فرع الصناعات التقليدية الفنية الذي يتميز بارتباطه الكبير بالسياحة شمل فقط (24000 مسجل)، وهذا حسب إحصاء الغرفة الوطنية للحرف والصناعات التقليدية سنة 2008.⁶

-تطور قطاع الصناعات التقليدية والحرف(1961-1999):

تطور هذا القطاع في الجزائر بعد الاستقلال في بيئة غير مستقرة، حيث خلال الفترة الممتدة ما بين (1962-1991) عرف عدة تقلبات، لقد أنشئت أول مديرية للصناعات التقليدية تحت وصاية وزارة التصنيع والطاقة، ثم ألحقت بوزارة الشباب والرياضة والسياحة سنة 1963، ثم خضع لعدة قوانين حتى سنة 1988، لكنه لم يتمكن من التكيف مع طبيعة المرحلة الصناعية. وإلى غاية 1995 حاولت الدولة وضع هيكلية عامة تمثلت في إنشاء غرف الحرف والغرف الوطنية، والوكالة الوطنية وذلك من أجل التقرب من الحرفيين والاهتمام بمشاكلهم، ومعرفة مواطن الخلل. من 1996 إلى 2002 قامت الدولة بعدة إجراءات قانونية انبثقت عن الأمر 1/96 الذي يحدد تنظيم الصناعات التقليدية والحرف، ومن بين ما جاء فيه تحويل نشاطها من البلديات إلى الغرف، والتكريس القانوني للعمل المنزلي، وإدماج مختلف النشاطات في قطاع التكوين المهني. وبعد عدة جهود ظهرت فكرة السياحة و تم ربطها بقطاع الصناعات التقليدية منذ 2001، حيث أصبحت تمثل إستراتيجية وطنية لترقية الصناعات التقليدية والسياحة، سطرت عدة أهداف لتحقيقها أهمها:

-خلق مناصب عمل بضعفين عن ما هو موجود من 120000 إلى 374000 منصب عمل.

-تحقيق صادرات تفوق 245مليار دينار.

-تحقيق إيرادات جبائية تقدر ب 10مليار دينار.

-تحقيق إيرادات بالعملة الصعبة تقدر ب 306 مليون دولار.⁷

غير أن كل هذه الجهود المسطرة باءت بالفشل، ومن خلال مقارنة بسيطة مع دول الجوار (المغرب وتونس) اتضح أن الجزائر عاجزة عن النهوض بالقطاع وإشراكه بفعالية في التنمية الوطنية.⁸

البلد	السنة	قيمة الصادرات	الملاحظة
الجزائر	2000	500000 دولار	تحققت جلها من المعارض المقامة بالخرج
تونس	1999	26 مليون دولار	+180 مليون دولار مبيعات مباشرة للسياح
المغرب	1999	47 مليون دولار	دون حساب المبيعات المباشرة للسياح

وإذا حاولنا تفسير التباين بين هذه البلدان، ونأخذ المغرب على سبيل المثال نستطيع القول أن تفوق هذا البلد المجاور في تجسيد ثقافة سياحية في الميدان لم يأت من العدم، بل كان نتيجة إستراتيجية شاملة ساهمت فيها النخب المختلفة، فبعدما صنفت مدينة فاس المغربية، من طرف منظمة اليونسكو، كتراث إنساني عالمي سنة 1980، تم إعداد إستراتيجية تطلبت جلوس الفنان إلى جانب المثقف، والفندقي إلى الكاتب، والرسام إلى الجمعي المحلي، والمستثمر السياحي إلى التاجر، والمرشد السياحي إلى الجغرافي، والمختص في الشؤون الاقتصادية، وهكذا تمكنت هذه النخبة من مزوجة السياسي بالفحص الاقتصادي والمقاربة الثقافية بالإضاءة الأنثروبولوجية، والزيارة الميدانية بإكراهات التحديث والتمدين، وضرورة لجمها بواجب الحفاظ على الخصوصيات المعمارية والثقافية.⁹

-مرحلة الانتعاش والدعم:

منذ إصلاحات 2003 أعادت الجزائر التركيز على قطاع الصناعات التقليدية واعتبرته مجالا مهما مكملًا للاقتصاد الوطني لا يمكن التخلي عنه، له آفاق واعدة في التنمية السياحية للبلاد. فقد أرادت أن تجعل من الفضاء الحرفي، قطاعا بديلا عن بعض القطاعات غير المتجددة، النافذة (المحروقات) يمكن أن يعطي نفسا قويا للاقتصاد الوطني، خاصة إذا علمنا أن الصناعات الكبرى التي ارتبطت بالمحروقات، أصبحت ذات آفاق مجهولة ومحملة بالمخاطر السياسية والاجتماعية الناتجة عن العجز الاقتصادي. وتقول نجاة عروة عن "دور الحرف التقليدية في القطاع السياحي في الجزائر" "عانى قطاع السياحة في الجزائر من تفوق شبه مطلق للموارد النفطية، لذلك لم يحظ بالاهتمام والعناية الكافية، أما السياحة فتبقى أهم وسيلة لتسويق المنتجات الحرفية التقليدية، التي رافقت القطاع السياحي في تدهوره سنين، وهي اليوم تطمح إلى مرافقته في مشروع التنمية المستدامة"¹⁰

- مفهوم الصناعات التقليدية:

هو كل صنع أو منتج يغلب عليه العمل اليدوي، يستعين فيه الحرفي أحيانا بأدوات وآلات لصنع أشياء نفعية أو تزيينية ذات طابع تقليدي يكتسي طابعا فنيا ينقل مهارات عريقة. تمثل ثقافات أو حضارات سابقة.¹¹ فالخصائص التي تميز منتجات الصناعات التقليدية تتميز بالبساطة والفن الأصيل، من أهمها: العمل اليدوي-آلات بسيطة-أشكال وألوان جذابة.

- تعريف المنتج السياحي:

هو السلعة المتداولة بين الدول المصدرة للسياحة والدول المصدرة للسياح في سوق السياحة العالمية.¹² وتصنف منظمة السياحة العالمية المنتج السياحي إلى عدة عناصر أهمها:

-التراث الطبيعي المتضمن للبحار والأنهار والجبال والصحاري.

-التراث البشري المتضمن لعادات وتقاليد الشعوب.

-التسهيلات الخدمية كوسائل النقل والإيواء والإطعام.¹³

-سياحة ثقافية أم ثقافة سياحية:

لو طبقنا هذا الاختلاف بين المفهومين حول بلدنا لأمكننا القول أن الجزائر غنية بالمواقع والمناظر والتراث السياحي الذي صنف حتى من قبل المنظمات العالمية لتعزيز مكانته في السياحة الثقافية، ولكن بالمقابل نجد الجزائر تعاني من غياب ثقافة سياحية لدى الأفراد والمؤسسات، تسمح بوجود معرفة سياحية أو ذهنية تحمل تصور إيجابي تجاه السياحة كمصدر أساسي للدخل يجب الاهتمام بها.

1- مفهوم السياحة الثقافية:

تطورت السياحة عالميا وامتدت إلى ميادين متنوعة وأصبحت صناعة قائمة بذاتها، ففي دراسة أجريت في الولايات المتحدة تبين أن "الغنى الثقافي بات من أسباب السفر الرئيسية لمجموعة كبيرة من السياح الذين يحرصون على زيادة معارفهم ومعارف أفراد عائلاتهم". وعرفت السياحة الثقافية في كتاب: السياحة الحديثة علما وتطبيقا "بأنها السياحة التي تنشأ معرفة أشياء جديدة وأشخاص جدد، كما تنشأ الاطلاع على تاريخهم وعاداتهم في نفس الإطار الحقيقي الذي يعيشون فيه". وقد اهتمت منظمة اليونسكو بشكل خاص بتضمين السياحة الثقافية في إطار وضع السياسات الثقافية الوطنية، ليس فقط لأنها تساهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وإعادة إحياء الصناعات الحرفية والمهن التقليدية، بل لأنها تؤمن فرص عمل للشباب وتحد من الهجرة، ولأنها تعتبر ميدانا ملائما لحوار الحضارات والثقافات، وتحافظ على معالم وممارسات ثقافية مهددة بالضياع".¹⁴

جاء أول اعتراف رسمي بالسياحة الثقافية عام 1963 عن المجلس الاقتصادي الاجتماعي في الأمم المتحدة يهدف إلى دعم الصداقة والتقارب بين الشعوب"، وفي العام 1966 أعلنت منظمة اليونسكو "أن السياحة الثقافية تساهم في تدعيم مسيرة السلام"... وفي العام 1976 تم تبني الشرعية الأولى للثقافة السياحية في بروكسل وأهم بنودها، "احترام التراث الثقافي العالمي والطبيعي الذي يجب أن يتقدم على أي اعتبار آخر". ثم نقحت هذه الشرعية عام 1988 داعية السياح إلى "احترام كل مجتمع في تراثه وبيئته". كما تضمنت موارد السياحة الثقافية في العديد من البلدان ما يلي: "الحرف والصناعات التقليدية وما يرتبط بها من أسواق شعبية وورش مزاولة العمل الحرفي".¹⁵

2- مفهوم الثقافة السياحية وعوامل غيابها لدى الفرد الجزائري:

هي كل المعارف والقدرات والمعلومات والمهارات التي يتمتع بها الفرد تجعلها قاعدة ينطلق منها لإبداء أي سلوك سياحي نحو كل المظاهر السياحية، وكذلك العمليات اللازمة للتخطيط والتنظيم، والتعامل مع المؤسسات والأماكن السياحية والسياح.¹⁶

لكن الثقافة السياحية هي مثل أي ثقافة يكتسبها الفرد في المجتمع كالثقافة الدينية والثقافة الرياضية والثقافة السياسية وغيرها، حيث يكون الفرد مزود بوعي تجاه أهمية السياحة كوظيفة تعود عليه بموارد مالية تجعله يتعلم مهاراتها وفنياتها، لتقديم خدمات يستمتع بها السائح وتجذبه للمنتج السياحي وأيضا للبلد المضيف. غير أن الثقافة السياحية كمصدر للدخل لدى الفرد الجزائري، لم تتشكل في ذهنيته، إن لم نقل ظلت غائبة في تصوره وذلك لعدة أسباب نذكر بعضها:

-إهمال عنصر السياحة من قاموس التنمية لمدة طويلة والاعتماد المطلق على المصدر الوحيد، المتمثل في المحروقات.

-اعتبار منتجات الحرف والصناعات التقليدية منتجات جمالية فنية ضعيفة التأثير في التنمية الاقتصادية.

-هيمنة ثقافة العمل الصناعي على العامل الجزائري أكسبته ثقافة مهنية في إطار التسيير الاشتراكي للمؤسسات، لا تنبالي بأي مجال آخر غير التصنيع.

أضف إلى ذلك أن مفهوم السياحة ارتبط بالأجنبي أكثر من ارتباطه بابن البلد، وهذه النظرة لا زالت تعتبر الأجنبي مثل المستعمر ولا تثق فيه، وقد بينت الأسفار والدراسات الانتوغرافية أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر، وبلدان المغرب العربي عامة التي صنفت سكان هذه الشعوب بالبربريين والمتخلفين -نظرة إيديولوجية- حيث وصف الباحث دونوفو deneveu أرض الجزائر وصفا سياحيا ، لكنه يحمل إيديولوجية استعمارية في قوله "الجو هنا لطيف والأرض خلابة، ولا تنقصها إلا الحضارة.¹⁷ إن السائح الأجنبي بقي في مخيال الجزائري يحمل ثقافية أجنبية تتنافى والتقاليد والعادات والأعراف التي لها مرجعية إسلامية. حيث أن السياح الأجانب في الجزائر، وخاصة من الدول الغربية كثيرا ما يساهمون في تفكيك القيم المحلية، بواسطة صور الاختلاط وأنواع الألبسة والمشروبات الكحولية.... إلخ التي تعتبر دخيلة عن مقومات الثقافة المحلية. وتكونت عدة صور لدى الجزائري عن واقع السياحة في دول الجوار وما جلبت إليهم من انحلال وتفسخ، لهذا نجده غير مهتم بالتنقيف السياحي كمهنة تفرضها السياحة حاليا في كثير من البلدان السياحية. كمل ساهم النمط الاقتصادي الاشتراكي الذي عاشه الفرد الجزائري في جعله يرى أن حقه من الربح البترولي هو مضمون في إطار سياسة الدعم الاستهلاكي والتعليمي والصحي التي تبنتها الدولة بعد الاستقلال، وقد انعكس ذلك سلبا ليس فقط على قطاع السياحة، بل جل القطاعات الحيوية في البلاد تأثرت بهذا المنطق الذي فرضته الإيديولوجية الاشتراكية، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نرى أن الجزائري له طابع مميز في شخصيته بحكم تأثير الثورة التحريرية القوية التي خاضها ضد فرنسا، حيث اكتسب ثقافة عدم الخضوع للغير، بل أنه

يسعى لكسب استقلاله الاقتصادي بالقوة أيضا من دون خضوع في معاملاته مع الآخرين، ولهذا نجده ينتقد كثير من الممارسات التي يشاهدها عند أفراد الشعوب الأخرى المرتبطة بتقديم الخدمات السياحية للأجانب بخاصة، التي يعتبرونها من الثقافة السياحية. فهو يفضل أن يربط تلك الخدمات التي تقدم للسائح بالمساعدة، وفعل الخير وكرم الضيافة. حيث أن ظاهرة مسح الأحذية، وحمل الحقائب، وإحضار وسائل نقل مميزة، والانحناء للسائح، وتقديم خدمات إرشادية وتوجيهية تبدو له منافية للعزة والكرامة التي دافع عنها أثناء الاستعمار، ولا يتقبل تلك الممارسات بوصفها عناصر من الثقافة السياحية التي ينبغي تعلمها.

-التقسيمات الكبرى لفروع الصناعات التقليدية في الجزائر:

لم يركز المشرع الجزائري في التقسيمات الكبرى لفروع الصناعات التقليدية من خلال المرسوم التنفيذي رقم 97-140 المؤرخ سنة 1997¹⁸ على تجسيد الثقافة السياحية في المجتمع بل اكتفى بتحديد ثلاثة فروع أساسية هي:

1- صناعة تقليدية فنية.

2- صناعة تقليدية لإنتاج المواد.

3- صناعة تقليدية للخدمات.

بناء على ما تضمنه كل فرع تبين أن الفرع الأول له ارتباط قوي بالجانب السياحي، لأن جل نشاطاته، تكتسي درجة كبيرة من التقليد، العمل البسيط والأصيل المتميز بالأشكال والألوان الجذابة للسائح لأنها تعكس فضول هذا الأخير للتعرف على أصالة وثقافة شعب معين.

ويتضمن هذا الفرع ما يلي:

-العمل على الطين والجبس

- العمل على المعادن، وأيضا المعادن النفيسة(الفضة، والذهب)

-الخشب ومشتقاته.

-الصوف والمواد المماثلة.

-القماش أو النسيج.

-الجلود.

حيث أن جل منتجات هذه النشاطات هي منتجات سياحية من الدرجة الأولى، نجد فيها الفخار، والنحاس والحلي والمنقوشات الخشبية، والمنتجات الصوفية، الأقمشة والزراي والمنتجات الجلدية. بينما الفرعين الآخرين الإنتاجي والخدمي يغلب عليهما النشاط الصناعي والتحويلي والصيانة والترميم والتزيين. فمن الصعب أن تجد فيهما الفن والمهارة والأصالة كما تجدها في الزراي والحلي والنحاس والفخار والجلود.

-خصائص الصناعات التقليدية الفنية المروجة للسائح:

هناك عدة خصائص تجذب السائح، أهمها.¹⁹

-الانفرادية بالمنتج: أي أن المنتج له خصائص تميزه عن نفس المنتج في بلد آخر، مرده إلى نوع الثقافة والأصالة والتاريخ والحضارة، لهذا لا يسمح السائح لنفسه عندما يحل ببلد ما أن يغادره دون اقتناؤه.

-المهارة اليدوية والجمال: الإتقان والتزيين والجمال يطبع المنتج بمرجعية البلد الأصلي تجذب السائح.

-المنتج التقليدي سهل للحمل والتعبئة، وهذه الخصية تعجب جميع السائحين.

إلى جانب ذلك هناك دوافع تحفز السائح على اقتناء المنتج الحرفي، أهمها:

-دوافع نفسية، تتعلق بحب التطلع على معرفة الآخر الغريب في الثقافة والأجنبي والبعيد.

-دوافع الذكريات، يعبرون بها عن كسب تقديرهم لدى أفراد عائلاتهم أو أصدقائهم، أو تذكير تجربة في حياتهم.

-دافع الإهداء.

-دافع الافتخار يوجد لدى الأغنياء للتعبير عن مكانتهم الاجتماعية بشراء المنتجات الثمينة وإظهارها أمام الجيران أو الأصدقاء لنيل الاعتراف وتأكيد المركز الاجتماعي.

الخاتمة:

لقد تضاعف مردود الصناعات التقليدية واختفت بعض وظائفها الثقافية والاجتماعية، وصرف الناس أنظارهم عن استهلاك المنتج التقليدي، وأصبح ينظر إليه فقط كتعبير عن الرومانسية الشعبية وحنين إلى الماضي وتعبير عن حب الوطن وتنمية الإحساس بالتراث، وأصبحت عبارة عن تحفة.²⁰ تعرض في المتاحف خلال مناسبات وطنية وثقافية، ولم تعد لها وظيفة تؤديها في المجتمع كما كانت في السابق تؤدي وظيفة اقتصادية أساسية (دخل العائلات) واجتماعية (تؤدي دور التماسك الاجتماعي والقراي) وثقافية (تعبير عن فنون ورموز وعادات واعتقادات معينة). وهنا يصدق كلام العلامة ابن خلدون عن الصنائع عندما قال: "إذا لم تكن لها داعية من كافة الناس، فسرعان ما تهجر وتخرّب، وتفر عنها القوامه لقلّة فائدتهم ومعاشهم منها، والله يقبض ويبسط."²¹

إن هجر الصناعات التقليدية لمدة طويلة من طرف الدولة، وكذلك الأفراد لعدة عراقيل لم يسمح بتكوين ثقافة سياحية تساهم في الترويج للمعالم الحضارية والتاريخية، والمناطق الطبيعية التي تتمتع بها الجزائر، هذا ما جعل الصناعات والحرف هي الأخرى تعاني من الركود بسبب غياب هذه الثقافة، لاسيما أن المنتج الحرفي يصرف مع وجود سياح أجنبى يتمتعون بفضاء من المعاملات والخدمات المحددة بالتنظيم القانوني، أو هي من وحي المواطنين، ونظرا للأسباب التي ذكرناها سابقا ظل القطاع يعاني من التدهور رغم وجود نية حسنة للنهوض به. لكن من دون الاستفادة من التجارب الناجحة لبعض الدول التي استطاعت أن تنتج ثقافة سياحية لدى مواطنيها، ومن دون إقامة شراكات أجنبية وجلب خبرات في هذا الميدان، واستثمار المعرفة العلمية في إطار بحوث أنثروبولوجية لمعرفة استعداد الفرد الجزائري وذهنه، وبناء استراتيجية تنموية تؤمن بالتكامل ما بين القطاعات أعتقد أن الصناعات التقليدية في الجزائر تزداد بعدا عن السياحة وفي حال افتقادها لهذه المبادرات سيكون مآلها الاندثار وزيادة التدهور. وأخيرا نتساءل كيف تتمكن الجزائر في ظل التحديات الراهنة والمقبلة

الخروج من هيمنة ريع البترول إلى اقتصاد مبني على السياحة بامتياز بالنظر إلى المؤهلات الطبيعية التي تمتلكها، على غرار بعض البلدان العربية التي استطاعت أن تتحول من بلدان تابعة للريع البترولي إلى أكبر بلدان سياحية في العالم.

المراجع:

- 1- محاضرة يوم: 28-01-2016 بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تلمسان.
- 2- عدي الهواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكير الاقتصادي والاجتماعي، 1830-1960، ترجمة جوزف عبد الله، دار الحداثة، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د/ت ، ص70-71.
- 3- وزارة التخطيط والتهيئة العمرانية، المخطط الثلاثي (67-69)، والرابعي الأول (70-73).
- 4- سفير ناجي، محاولات في التحليل الاجتماعي، ج1: التنمية والثقافة، ترجمة ع.بن ناصر، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، د/ت، ص43.
- 5- عائشة غطاس، الحرف والحرفيين بمدينة الجزائر، 1700-1830، مقارنة اجتماعية - اقتصادية منشورات ANEP ، 2007 ، ص113.
- 6- إحصاء الغرفة الوطنية للحرف والصناعات التقليدية سنة 2008.
- 7- مداخلة وزير المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعات التقليدية ضمن برنامج الجلسات الوطنية خلال نوفمبر 2009.
- 8- صديقي شفيقة، صادرات الزرابي التقليدية الجزائرية، رسالة ماجستير جامعة الجزائر 2001-2002، ص51.
- 9- عمر أمين بنعبدالله، تفاعل الحرف التقليدية والسياحة على المستوى الثقافي والتراثي والاقتصادي، مدينة فاس نموذجاً، فبراير، 2009.

- 10- نجاه عروة، منتدى الصناعات التقليدية، أكتوبر 2008، البوابة الإلكترونية لمدينة أولف،
www.aoulf.com/t1673-topic أدرار الجزائر.
- 11- صديقي شفيقة، المرجع السابق، ص 51.
- 12 - محيا زيتون، السياحة ومستقبل مصر بين إمكانيات التنمية ومخاطر الهدر، دار الشروق
القاهرة، 2002، ص 17.
- 13- صليحة عشي، الآثار التنموية للسياحة، دراسة مقارنة بين الجزائر وتونس والمغرب،
مذكرة ماجستير جامعة باتنة، 2005، ص 33.
- 14- جهود الرعاية والحكومة في مجال تنشيط السياحة وتنمية الصناعات، التقليدية، المؤتمر
الدولي الأول حول السياحة والحرف التقليدية. من 16 إلى 23- شوال 1427 هـ ، الموافق 7
-14 نوفمبر 2006م، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 15- أنظر: السياحة الثقافية، جمعية بيروت للتراث، المؤتمر الثامن 2005. وكذلك:
أشغال المؤتمر الدولي الأول حول السياحة والحرف التقليدية. 7 -14 نوفمبر 2006م،
الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 16- هناء زهران، الثقافة السياحية وبرامج تنميتها، عالم الكتاب، ط1، القاهرة، 2004،
ص 24.
- 17 - جزائر الأنثروبولوجيون، ص 101 18 - المرسوم التنفيذي رقم 97-140 المؤرخ
سنة 1997
- 19- خلية حسن حسين، دراسات في التنمية الاقتصادية، الدار الجامعية، الأسكندرية، مصر
2006، ص 27، 36-40)
- 20- محمد الجوهري، الأنثروبولوجيا، أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعرفة الجامعية،
الأسكندرية. 2005 ص 575. 21- ابن خلدون. المقدمة، دار الكتاب اللبناني ومكتبة
المدرسة، بيروت، لبنان 1982، ص 719.